

سيكون حديثنا حول التربية العبادية للنفس

تربية النفس من أهم القضايا التي ينبغي على المسلم أن يهتم بها، وقد أقسم الله على فضلها فقال (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) {الشمس} أي قد أفلح من طهر هذه النفس من الأدناس و الأنجاس، ورباها على مخافة الله جل وعلا. فالمسلم يربي نفسه على أن تكون نفساً عابدة لله جل وعلا. وهذه التربية تركز على محورين أساسيين:

المحور الأول: تربية النفس في معاملتها مع الله.

المحور الثاني: تربية النفس في معاملتها مع الخلق.

والحديث حول هذين المحورين يحتاج إلى ساعات طويلة. ولا نستطيع إعطاء الموضوع حقه في جمعة واحدة. لذلك سنتحدث في هذا اليوم حول تربية النفس في معاملتها مع الله.

أيها الإخوة: من أهم الأسس التي يجب على المسلم أن يربي نفسه عليها في معاملته مع الله، استشعار عظمة الله. هذا أول أساس تربي نفسك عليه، استشعار عظمة الله جل وعلا. إذا أردت أن تكون عبداً لله لا بد أن تستشعر عظمته وقوته، فبيده خزائن كل شيء، وهو المالك الحقيقي لهذا الكون، المتصرف به كيف يشاء. يقول سبحانه وتعالى: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) القصص (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بضياء، أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم ليلتسكنون فيه، أفلا تبصرون) (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر، سبحانه الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) هذه الأرض بجبالها وأنهارها وبحارها وبما فيها، كلها يقبضها الله عز وجل يوم القيامة، وهذه السماء التي تشاهدونها، بينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، وبين الثانية والثالثة مسيرة خمسمائة عام، وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وهكذا سبع سموات، يطويها الله كطي السجل للكتب بيده جل وعلا / بل يقبض السموات والأرضين وبهزهن ويقول: "أنا الملك ... أنا الملك ... أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟". فهل استشعرت يا أخي عظمة الله، لا بد من تربية النفس على استشعار عظمته. عندما تكون لوحده في البيت، وتسول لك نفسك النظر إلى ما حرم الله، أو الاستماع إلى الأغاني الماجنة... عندما تحين أوقات الصلوات وخاصة صلاة الفجر، وتسول لك نفسك التكاسل... قال بعض السلف. "لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت"

عباد الله: والأساس أو المقام الثاني الذي ينبغي أن تربي نفسك عليه في تعاملها مع الله، مقام المراقبة. فإذا استشعرت عظمته، فلا بد أن تعلم علم اليقين أن هذا العظيم سبحانه وتعالى يراقب كل تحركاتك وكل سكناتك في

فما أجمل أن تربي نفسك يا أخي على مراقبة الله، فإله سبحانه يريد منك أن تراقبه في كل أعمالك. لذلك أنزل آيات كثيرة من القرآن تعمل على تنمية مشاعر المراقبة. وانظر إلى وصية لقمان لابنه في قوله تعالى (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتي بها الله إن الله لطيف خبير).

(يأتي بها الله) أي احضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط. وجازى عليها فإن خيراً فخير وإن شراً فشر (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ولو كانت تلك الذرة داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهية في أرجاء السموات والأرض فإن الله يأتي بها، لأنه لا يخفى عليه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولهذا قال سبحانه (إن الله لطيف خبير) أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت وتضاءلت (خبير) بدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء الملساء في الليلة الظلماء.

أسأل الله أن يرزقنا حقيقة استشعار عظمة الله و مراقبته ورحم الله القائل:

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً
ولا أن ما تُخفي عليه يغيب
الم تر أن اليوم أسرع ذهاباً
وإن غداً للناظرين قريب

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

عباد الله: تأملوا معي هذه القصة لعلها تكون عبرةً وعظةً لكل من غفل عن عظمة الله ونسي مراقبته. وهذه القصة قصة مالك بن دينار. حيث كان شرطياً من شرط بني العباس، وكان يشرب الخمر. وكان صادراً ناداً عن الله عز وجل. ويشاء الله أن يتزوج بإمرأةٍ أحبها حباً عظيماً، ولكنه لا يترك الخمر يشربها في الصباح والمساء. ويشاء الله أن يرزق بمولودة من هذه المرأة، فما كان منه إلا أنه أحبها حباً كثيراً. حتى ملكت قلبه وعقله. فكان ما ينتهي من عمله حتى يأتي إليها ليلاعبها. وكان يؤتى بالخمر، فإذا رآته يشرب الخمر ذهبت وكأنها تريد أن تعانقه فتسقطت الخمر من يده. وكأنها تقول له يا أبتى اتق الله فما الخمر لمسلم أبداً. وفي يوم من الأيام يأتي من عمله فيأخذها ليلاعبها فتسقط من يده فتموت، فحزن عليها حزناً شديداً. فما كان منه في تلك الليلة إلا أن شرب الخمر ثم شرب ثم شرب حتى الثمالة. قال: ثم نمت تلك الليلة وبي من الهم والغم ما لا يعلمه إلا الله. قال:

فيا أخي الحبيب: إذا مررت بمرحلة ضعف في تعاملك مع الله بعدم استشعار عظمته ومراقبته, وارتكبتَ بعض الذنوب والمعاصي, وسترك الله, فتنب إلى الله وُعد الله واستغفره وراقبه حتى يسترك في الآخرة كما سترك في الدنيا. وإلا ستفضح على رؤوس الخلائق غداً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فراقبوا الله وتوبوا إليه واعلموا أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأن التائب من الذنب حبيبُ الرحمن.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات, اللهم فرج كربنا, واستر عيوبنا, واغفر ذنوبنا, وأد ديوننا.

اللهم لا تفضحنا بين الخلائق ولا تحزننا يوم القيامة.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

اللهم احشرونا في زمرة نبينا وتحت لواء حبيبنا.

اللهم ارزقنا قبل الموت توبة, وعند الموت شهادة, وبعد الموت جنة.

وصل اللهم وبارك وسلم على سيد الخلق محمد ﷺ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.